

عبداً رقيقاً قبيح الوجه ضعيف العقل سيء الخلق مشوه السحنة والتركيب
 ذليلاً مهاناً مطروداً يأكل بعضه بعضاً وقد احتقره ابن البرد فهو لا يؤاكلة
 ولا يصاهره ولا يسمح له بحق من حقوقه بل يعتبره بعيداً عن الانسانية
 قريباً من الهمجية وكل هذا انما جاء من تأثير البرد المفرط الذي احدث
 القوة والنشاط والذكاء ومن تأثير الحر المفرط الذي احدث الخور والجبن
 وضعف الصحة والبلادة والبله والقدماء والعي والحصر مما اوجب كله الذل
 والاستكانة والرضى بالحياة على اية حالة تتفق

فاذا كان الانسان كافراً لانه لا يرضى بحالة فذلك كفر موقت صادر
 عن غير روية ولا تبصر ولكن الانسان العاقل حين يتبصر في كل شؤون
 حياته وعواقب الحر والبرد عليه فانه يختار البرد مهما افراط على الحر ولو قل
 افراطه وكفى بما تقدم من صحة العقل والجسم دليلاً على صحة ما نقول

﴿ بيان حقيقة ﴾

عربنا في الجزء الماضي ما اتسع له المقام من تاريخ البرنس فيزيوسكي
 والان تم تعريب تاريخه كله باختصار زيادة في البيان
 فما يذكر من حسن مساعيه انه لما نكبت فرنسا في حربها مع المانيا
 سنة ١٨٧٠ اصاب الفلاحين الفرنسيين ضيق شديد فما كان من هذا
 الامير الا انه ارسل كتاباً الى صديقه الملك اوسكار يطلب منه شيئاً من
 الاعانة لهم فورد منه مبلغ مئتي الف فرنك وزعت عليهم مع الذي وزع في
 ذاك العهد

ثم انه لم يكتف بهذه المساعدة التي قدمها للمزارعين بل انه ساعد بنك فرنسا باراته لكي يستطيع مساعدتهم بامتيازات خصوصية وكان ذلك عن يد والد المرحوم المسيو كرنو رئيس الجمهورية الفرنسية فان البرنس اشار عليه اشارات جمة ليجري بموجبه في مساعدة الفلاحين فعمل بها ولم يكن يدري بها من قبل وبهذه الوسطة امكن بمساعي البرنس اقراض الفلاحين ثلاثين مليون فرنك

ثم انه مما يدل على شدة محبته للسلم مع المرحومة قريته ان المرحوم الفرد نوبل مستنبط الديناميت الشهير وصاحب جوائز السلام المشهورة كان كثير التردد على البرنس في باريز لمشاركته في مساعيه وقد كانت صداقته معه هي السبب لوضعه جوائز السلم المشهورة التي لا تزال للان توزع على كل من يسعى للسلم سعيه

ولقد قلنا ان صداقته للأسرة المالكة في اسوج قديمة مؤكدة ولكن مما يزيد في تأكيدها ان ملكة اسوج لما سافرت الى اسبانيا عام ١٨٨٠ لزواج ابنها الامير اوسكار (الملك الحالي) دعت الامير فيرنسيوسكي ليكون معها في اسبانيا ومع ابنها الملك فذهب وصحب الملك في كل رحلته باسبانيا ثم ذهب الى البورتغال فتقابل مع ملكها الدون لويس فاحتفى به كثيراً ولقد كان له في ايطاليا اصدقاء عديدون من اكابر اولي الحكم والعلم والتدبير مثل كاريلدي وكاتانيو والجنرال كيبالديني وسواهم كما انه اقام عشر سنوات هناك وهو رئيس مجلس ادارة المجلة الشهيرة المعروفة بالمجلة السياسية وقد كانت فصوله فيها من جملة العوامل على توثيق المودة بين ايطاليا وفرنسا فانفتحت ايطاليا بذلك نفعاً كبيراً وسرلها الملك عمانوئيل سروراً كبيراً ثم

لم يكتف بذلك بل تدخل حين جلوس جلالة الملك الحالي بشؤون ايطاليا
وسياسة استعمارها فنالت سياسته استحساناً كبيراً من جلالة الملك وارسل
يشكره كثيراً بكتاب تاريخه ٣ يناير من سنة ١٩٠٦

ثم انه لم يكن مكتفياً بهذا وحده بل ان مصائب فرنسا عام ١٨٧٠
كانت دائماً تذكره وتذكر المرحومة قرينته بامر السلام ولذلك بلغنا من
الشهرة فيه مبلغاً عظيماً حتى التفت حولها خمسة ملايين نفس في جميع اطراف
الارض وبينهم عدد عظيم من اكابر الحكم والامراء والاميرات العظام.
الا ان فقد قرينته كان ضربة شديدة عليه وعلى كل عارفي فضلها ولذلك
وردته تعزيات حجة من عدة ملوك (وهي مما يضيق المقام عن نقلها الان)
ولكننا نقل منها تعزية جلالة الملك اوسكار الثاني الحالي فانه بعث اليه
بكتاب هذه نسخته

« لقد علمت باسف شديد خبر فقدكم لقرينتكم الكريمة ذات الفضيلة
الثامة والكمال ولقد حزنت على وفاتها وادركت مقدار حزنكم عليها ولكن
لا تنس ان الحياة على هذه الارض هي تجربة وتنبه وان الحياة الحقيقية انما
هي بعد الموت ولكن صديقكم هذا القديم يطالب من الله ان يتفضل
بتعزيتكم ويقوي قلبكم مسافة ايامكم الباقية لمـ كاخـ هذه الدنيا الفانية »

اوسكار الثاني

الا ان فقد قرينته كأنه قد زاد في تبعة السلم عليه ولذلك فهو الان
يدرس مشروعاً جديداً يؤسس به جمعية جديدة يمكن بها اتفاق الامم
ومصالحة الشعوب ولهذا نال شهرة فائقة في كل مكان كما انه عضو في عدة
جمعيات منها جمعية الصنائع والفنون في لندن والجمعية الجغرافية في ليدسون

ورئيس شرف لجمعية اتحاد النساء العمومي وتهذيب باريز ومحامي جمعية الثمدن والسلام في رومة وغير ذلك جمعيات لا سبيل لذكرها كلها

اما والده البرنس ميشيل فيزيوسكي فقد توفي في نيس سنة ١٨٦٥ في ٢٤ دسمبر واما البرنس اليزابيت دي موتينا لسيسكال فقد ماتت في نيس ايضاً بتاريخ ٢٧ مارس سنة ١٨٧٦ وشقيقته ميشلين قد توفيت في كراكوفي سنة ١٨٣٦ وماري في نيس سنة ١٨٩٨ ولويزا توفيت في نيس ايضاً سنة ١٩٠٠ وعلى هذا يكون البرنس ادمو فيزيوسكي هو الامير الوحيد الباقي من اسرة بروس البولونية الملكية وليس له وريث قط لانه لم يرزق بمولود من قرينته الاولى التي توفيت في ٢٧ اكتوبر سنة ١٨٨٦ ولا من قرينته الثانية التي توفيت سنة ١٩٠٣ وعلى هذا تكون صاحبة هذه المجلة وقرينها واولادها ورثاء لقب هذا الامير الجليل مد الله في حياته ومتعه بالبقاء الطويل ولا بأس هنا ان نضيف الى مختصر تاريخ هذا الامير مختصراً آخر

من تاريخ والده زيادة في الدلالة والبيان

ولد البرنس ميشيل فيزيوسكي والد الامير السابق في سنة ١٧٩٦ وتوفي في مدينة نيس سنة ١٨٦٥ على اثر مرض قلب مزمن تحمله بصبر عجيب يرد سببه الى اصله البولوني المشهور بالاحتمال الشديد وكانت اسرة فيزيوسكي على غنى دائم وكانت تملك ارضاً واسعة في جبال كريات ولكن معظم غناها كان من السيف والقلم الذين انتصرت بهما واثرت وكان جد البرنس ميشيل وهو البرنس انطون رئيساً شهيراً للحزب الحر في بولونيا بالقرن الماضي وله عدة تأليف تاريخية كما ان اجداده جميعهم كانوا كلهم من رجال البأس والحرب ، وقد اقترن جده بابنة اخت الوزير

الاعظم الكونت دي بروهل قائد حراس امير سكسونيا وملك بولونيا
وقد تلقى البرنس ميشيل المشار اليه دروسه الابتدائية في ليوبوليس
وبعدها في كلية كريمانس وصار هناك صديقاً لكاديوس كزاري ثم استمر
في باريز منكباً على الدرس على مشاهير من الاساتذة مثل جيزوت
وكوزان واتم علومه في كلية ادنبرغ الكبرى وكانت له صداقة وعلاقات
مع والتر سكوت وولسن وهاملتون وسوام من مشاهير المؤلفين في
ذاك العصر

وكان حين حدثت ثورة بولونيا سنة ١٨٣١ في قصره بفوليني فهب
اليها في الحال واجتاز حدود بولونيا تحت نيران الروسيين لكي يحارب
اعداء وطنه وكان مهتماً في ذلك الوقت بآثار اهالي فوليني واهالي ليتواني
ولكن الحكومة الملكية في ذلك العهد لم تدرك حقيقة الامر حتى كانت سنة
١٨٦٢ ولكن الحالة ايضاً لم تكن موافقة ولم تكن الظروف فيها كظروف
سنة ١٨٣١ التي لما انطفأت ثورتها التجأ الى جمهورية كراكوفي فعيثته ناظراً
لكلية باجل

وقد كان الشعب محباً له متباهياً به ولذلك انتخبه رئيساً للحكومة
الاهلية وكان هو نفسه الذي انقذ كراكوفي من مذابح غاليسيا رغماً عن
قصر المدة التي قضاها في الرئاسة

ولقد اشتبهت فيه حكومة روسيا فالقت القبض عليه وضبطت امواله
وسجن في النمسا بدون دعوى لحد سنة ١٨٤٨ اي حين نشوب الثورة في
فيينا حيث فتحت ابواب السجون للمسجونين السياسيين وبعد ذلك هاجر
الى ايطاليا حيث لقي من حسن الضيافة والاكرام ما كان يستحق

وقد نشر في سنة ١٨٣٤ باللغة البولونية تأليفاً شرح فيه فلسفة باكون
ونشر في سنة ١٨٣٨ مؤلفاً آخر في السلوك الانساني فترجم الى اللغة الانكليزية
سنة ١٨٥٣ . والف فيما بين سنة ٤٠ و ٤٨ اربعة اجزاء من تاريخ بولونيا عدا
تأليفه لتاريخ آخر عن ادباء بولونيا يقع في عشرة اجزاء وهو من اعظم
التأليف الفلسفية في اللغة الشمالية . وقد تخرج عليه في مدرسته نخبة من
الشبان اجمعوا بكتاباتهم نار الثورة العظيمة التي قام بها الشعب البولوني
سنة ١٨٣٠ ولم تتمكن الحكومة الروسية من اطفائها الا بعد جهد عظيم حتى
داهمته المنون وهو يشتغل بوضع تاريخ لنابوليون الاول فيما يتعلق خصوصاً
ببراعته في فنون الحرب

وقد كان هذا الامير محباً للحرية مريداً خير الشعب والرجوع به الى
تقرب الممالك من الفلاح كي لا يكون كبر وانفصال بين الفريقين بدعوى
الشرف الذي كان يريد ان يفهمهم اياه بحقيقة معناه حتى لا يكون حاجزاً
بين شعب واحد في بلاد واحدة . اما الدسائس والوشايات وكل المسااعي
العقيمة فكان يتبعد عنها بعداً كبيراً ولا يحوم الاحول الصواب والشيء
المستطاع ولذلك كان محبوباً من الجميع ومحسناً الى الجميع كما انه كان عالماً
حاذقاً ومؤرخاً شهيراً نال باعماله الجليلة ابدصيت واجمل ذكر فوق ما
ناله بكونه والد الامير ادمو فيزينوسكي صاحب الترجمة السابق الذي جاء
مكمللاً لاعماله ومحامياً لشؤون الاداب والسلم

هذا مختصر ما يذكر من تاريخ هذا الامير ووالده واما تاريخ اسرة
افيرينوه التي تبناها البرنس ادمو المشار اليه فقد كان في النية وضع شيء منه
ايضاً لولا ضيق المقام ولكن جملة حالها انها من الاسر العريقة في النسب

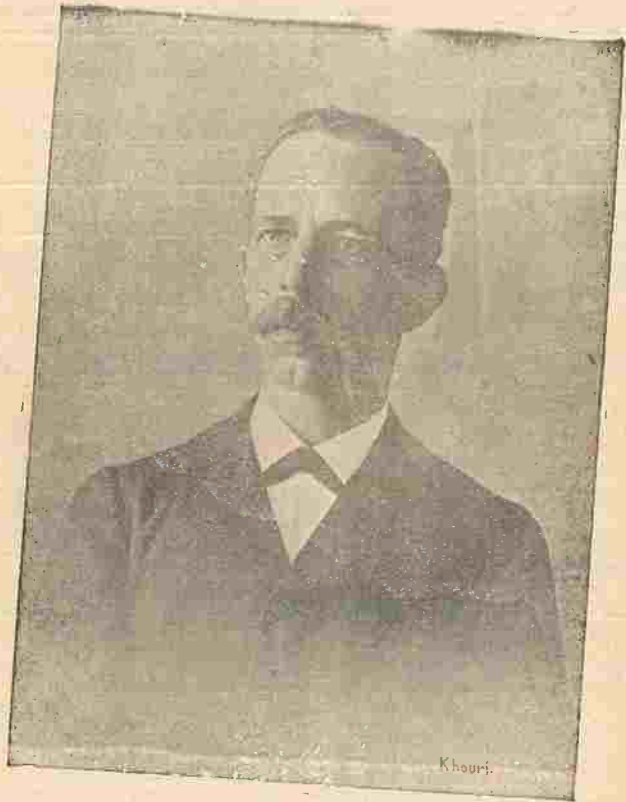
وهي ذات فضل شائع ورجال كثة يدل على ذلك اختيار البرنس لها ووقوع
 انتخابه عليها ورضى جلالة ملك ايطاليا عنها لان امراً خطيراً كهذا لا يتم
 بسهولة بل هو قد اقتضى اجراءات عديدة ورسوم جمّة واستصدار اوامر
 ومراجعة تقارير وطول اقامة في رومة حتى اذا انتهى كل ذلك اصدر جلالة
 ملك ايطاليا عمانوئيل امره العالي باعتماد هذا التبرني والاعتراف بصحة النسب
 بتاريخ اول ستمبر من سنة ١٩٠٦

اما النشرة التي اختصرنا منها نقل الترجمة الآتية فتدعى

I Nostri Contimporanci

اي معاصرونا وقد بقي في التاريخ امور اخرى اضطرنا ضيق المقام
 الى تركها مكتمنين بالاشارة اليها . فمن شاء معرفة كل ما قيل بحرفه فعليه
 مراجعة النشرة المشار اليها





مأخوذة من جريدة المصور

الشيخ إبراهيم اليازجي

غاض القريض واذوت نضرة الادب

وصوحت بمدري دوحة الكتب

اجل فلقد نجع العرب في الثامن والعشرين من هذا الشهر بنع

القوافي ومعين القريض الصافي اذ مات فيه علامتهم العظيم الشيخ
ابراهيم اليازجي بل علامتهم الاوحد الذي ضرب بمجزات يسانه على
ذكرى البديع واحمد والذي كان يكتب فيخطب الالباب بجمال كلامه .
وينظم فتود النحور لو تتحلى بدرر نظامه ويحيل قلمه على الطرس فترى
الفصاحة ماشية من ورائه وامامه وصحة القول سابقة من قدّامه ولقد
مضى على العرب قرون طوال انتسق فيها بلغاؤهم انتساق الكعوب .
وتوالى كتبهم فيها كالرمح انبوباً على انبوب ولكنه كان في الحقيقة لهذمهم
المخذم وكان وهو على انه آخرهم السنان المقدم

اجل لقد مات امام اللغة العربية بعد ان افنى في خدمتها نحو الستين
سنة افنته جهداً ونهكتة نقداً واتعبته جداً ولم يجد منها بداً اذ لم تجد
منه بداً بل هو قد لزمها فما انفك عنها حتى ملأها بحثاً وتحقيقاً وتلاها
كشفاً وتدقيقاً واملاها درساً وتعليقاً حتى لم تبليه ريقاً فالان يغيب
ذلك المنهل الفرات وتتعلّق القوافي والابيات ويصوّح ذلك الروض الذي
طالما اسمع بلبله من الاغاريد ما لا تسمعه البلابل وتدبجت جوانبه من
صنعتة بما لا تدبجه انداء الاسحار والآصائل والان يتلجلج لسان القائل .
ويظن نفسه عالماً كل جاهل بل الان يتحير الصواب ويمتنع فصل
الخطاب ويضلّ اولو الالباب ويتضايق الكتاب بل الان يعي البيان
ويعجز اللسان ويضعف البرهان ويظهر في الشرق تقصير الانسان فمن
لنا بعد اليازجي ابراهيم بمن يتزع منه من يجيد تأيينه كما كان يؤن كل
مجيد ومن لنا بمن يستطيع تقليد طريقته وقد عز على المقاد التقليد بل
من لنا بمن يقرن الاجادة بالصواب والتسديد ويطلق الحكمة العربية

في عرض كلام كالدر النضيد هيات قد علفت كل هذا اشرالك الردي
 وحال دونه المدي فهو لا يرى مثله غداً وقد لا يرجع نظيره ابداً
 وانا الان في مقام التأين ولكن لقد عز القول بعده على القائل
 وبعدت الثريا عن يد المتناول ولذلك نكل تأينه الى المدامع تنهل عليه
 بدل المداد وتقوم حرمتها عليه مقام سواد الحداد وتثني في تأينه عن
 التعدد بالتعداد

ولقد كان في النية ذكر مطول من حيثيته واعماله واخلاقه فرأينا في
 جريدة البصير الغراء ما يقوم بعض المقام بما نريد فاخترنا اثباته مع التصرف
 فيه واعدين فيما بعد بالمزيد وهو كله بقلم ابن اخته امين الحداد
 قالت بعد تأينه ورثائه

كان اليازجي ابراهيم غريباً جداً في صفاته • حتى كأنه عالم قائم بذاته •
 وكانت نفسه على غير المألوف من كل نفس • فكانه وحده جنس • او هو
 كما قال والده عن نفسه

انا منهم جسماً لاني بعضهم ولكن نفسي قط لم تك منهم
 ثم نحن لا ندخل الان في مبالغات التأين وذكر شتى النعوت
 والادوصاف مما تألفه الجرائد في مثل هذه الاحوال بل نذكر ما تنبه اليه
 الذهن من خلقه الغريب لان ما عدا هذا من شائع الاخلاق ستذكره
 الصحائف والمجلات من باب التاريخ ولعلها تنقل ما ذكره نحن ليكون
 كتمة لتاريخها وعونا لها على ما تقول

فمن اخلاقه التي ذكرتها عنه اكثر جرائدنا في هذين اليومين شدة
 ابائه وفرط قناعته حتى كأنه القائل لهذين البيتين

امطري لؤلؤاً جبال سرنديب وسحي سماء تـكـرور تبرا

انا ان عشت لست اعدم قوتاً واذا مت لست اعدم قبرا

وهذا الخلق ليس بالغريب بل هو على شيوخ بين جمهور اولي النضل
ولكن الغريب في اليازجي من جهة القناعة والاباء انه ما شوهـد قط متمنياً
ولا رآه احد متحسراً ولا قال لشيء ليت ذلك لي حتى كأن الاماني كانت
صرعى لديه كما قال المتنبي في سيف الدولة ولا نذكر اننا سمعناه او سمعه احد
يقول حبذا ولعل اولو وليت . وانه من المحال وجود انسان لا يتنى شيئاً
في نفسه ولكن اليازجي كان يرى اظهار التمني منقصة ويعتد ذلك من اللغو
حتى كأنه يتبع حكمة العامة في قولها الشكوى لغير الله ذل

ومما تذكر من اخلاقه انه ما حلف قط ولا اقسم بشيء ارادة الاقناع
والتأكيد كما انه ما استخلفه احد قط في حياته وذلك لفرط تأكده من
صدقه . ثم انه ما استرهن ولا رهن ولا قامر ولا رابى ولا دخل في اي
شيء من شؤون التجارة بمعناها الحاضر المعروف ولا قتل وقته فيما لا يفيد
ولا تحدث بالسياسة الا اضطراراً ومجاملة للمتحدثين ولا رآه احد ينـدم
على شيء مع ان الندامة توبة يصلح لها ويصام كما يقول البحري ولا شوهـد
متلفئاً للماضي او متحسراً على ما فات بل كان يقول ان للحدث في الخسارة
خسارة اخرى من الوقت ولا كان يغتاب احداً قصـد التشقي بل قصد اظهار
النقص لا جتنابه وهذا كله يدخل في حدود التقدير وكان بلاي العفاف
ممتازاً به حتى كأنه المتنبي في قوله

وغير فؤادي للغواني رمية وغير بناني للزجاج ركاب

او كانه جبرير حين قال « ارجعي بسلام لئلا تـلا من لا يـلا »

وكان يعجبه من دريد بن الصمة قوله
صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل ابعده
وكان على اخلاق ليست كالاخلاق لا تضبطها كلها الا ان وقد يتنبه
اليها المؤرخون والمعاصرون فيذكرونها

اما صفاته الشخصية فقد كان ربة معتدل الجسم منتصب القامة ابيض
الوجه ولوجهه اشراق وحسن وكان كثير التأني في اعماله حتى في مشيته
فلا يتولاه زعر يسرع به ولا ذهول يبطئه حتى كانه المعني بقول الوليد
فتى لم يضيع وجهه حزم ولم يبت يلاحظ اعجاز الامور تعقبا
اذا كف لم يقعد به العجز مقعدا وان هم لم يذهب به الخرق مذهبا
بل هو من حيث فرط تأنيه جدير ان يقال فيه بعد موته ما قاله ابو
العلاء المعري في رثاء والده عبدالله

فياليت شعري هل يخف وقاره متى صار أحد في القيامة كالعمر
وهل يرد الحوض الروي مبادرا مع الناس ام يابى الزحام فيستأني
حجى زاده من جرأة وسماحة وبعض الحجى داع الى البخل والجبن
وكان شديد الحفظ يعي شيئا كثيراً من المشور والمنظوم بين قصائد
برمته ومقطعات وخطب وشدور وحكم وامثال وهو ما يبدو من مطالعة
فصوله في الضياء وسواه فان الذي يتنبه اليها حين قراءتها ويرى استشهاده
بقول سواه او بشيء من القصص والروايات يجد انه كان على حفظ شديد
واذا اتفق وخائنه الذاكرة فما استطاع ان يستملي ذهنه عرف بالمكان الذي
فيه ما يريد فجاء به سريعا ولكن هذا كان حين ارادة الاتيان بالحرف والنقل
بالنص مراعاة للامانة واما من حيث الاستفادة فما كان كذلك لانه نذر

جداً أن نسي شيئاً استفادهُ بمعناه ولذلك لم يكن كثير التعويل على الكتب
حتى كأنه المقصود بما قيل

لا بالمضيع الناسي ولا الوكل المحيل في علمه على كُتبه

احاطة بالصواب تؤمن من لجأه في الحال او صخبه

وكان صناع اليدين حاذقاً جداً في كل امر يتولاه فاذا كانت له في
الامر مشاركة استعان على اتمامه بحاذق يستطيع ان يتمه والا تركه جملة
لانه كان شديد الحرص على الكمال ولم يكن يأف من سؤال احد فيما
لا يدريه وما قال قط ادري في حيث لم يكن يدري وهو خلق اشار به على
تلاميذه في احدى خطبه لانه كان يعتمد من اجود الاخلاق وكان
وقوراً رزيناً يغلب جده على مزاحه وكان في كليهما مستحسن الحالة كأنه
المقصود بهذا البيت

لا يكفر اذا انحاز الوقار به ولا تطيش نواحيه اذا مزح

وكان من جهة اخرى كما قيل في الفتح بن خاقان

له الاثر المحمود في كل موقف وفصل الخطاب الثبت في كل مجمع
اذا بدرت منه العزيمة لم يقف وان جاز عنه الامر لم يتبع
طالب لا قصي الشيء حتى يناله ومغرى بغايات الحقائق مولع

اما ما كان يمتاز به من جهة الشؤون العقابية فشدّة الانصاف ولذلك ما
نقل قط عن عالم كلاماً وادعاه له او حرفة ليخفي صورته الاصلية بل كان
يرد كل شيء الى اصله وينقل الكلام بالامانة وكان يقول اذا كان في قول
القاتل خطأ فالتبعة عليه واذا كان فيه صواب فاية شريعة تجيز سرقة الصواب
من صاحبه وقد بالغ في هذا كثيراً حين ذكره اغلاط المولدين في مجلته

الضياء حتى قال له مرة ابن اخته امين الحداد ان لاكثر المولدين شيئاً
يذكر من الخطاء فلماذا لم تعتمد الا الشعر وحده فقال اخاف ان اكون قد
ظلمتهم لانه قد يكون الخطأ من تحريف الناسخين وليس منهم او يكون
قد دس في كلامهم دساً لغرض واما الشعر فوزنه وقافيته يمان عليه حتى يتعذر
العبث بصورته الاصلية كما يعرف ذلك اهل هذه الصنعة

ولقد كان شديد وقع النقد حتى كان في نقده كانه يفت الخردل ويحط
الجندل وما كان يرعى في ذلك عهداً ولا صداقة الا من حيث لين الكلام
وخشونته واما من حيث جوهر النقد فلا . ولقد كان ممتازاً بمحبة المتنبي
متعصباً له احياناً ولكنه اوسع نقداً ثم انصفه كثيراً ودفع عنه في بعض
المواضع دفعا جميلا ولا سيما في قول المتنبي لسيف الدولة

رأيتك في الذين ارى ملوكاً كأنك مستقيم في محال

قالوا ان سيف الدولة او من كان في حضرته قالوا له ان المستقيم
لا يناقض المحال وان المتنبي سكت واما اليازجي فدفع كل هذا عن المتنبي
واظهر صواب قوله وعجب لمثل المتنبي كيف يسكت في ذاك المجلس
وكانت له في ثمره رشاقة وحلاوة وكان في جملة الانشاء نسيج وحده
فترى اسجاعه على غير المؤلف من السجع وتراه منفرداً في انتخابه للالفاظ
واختياره للتراكيب حتى كان كما يقول الافرنج كأَن صورته تظهر من بين
سطوره وكان يحاول في بعض انشائه ان يخفي نفسه فتم ديباجته عليه كما يتم
النسيم على العطر . ونذر ان اجتمع في كلام منشيء ما اجتمع في انشائه من
الرونق وصفاء الماء مع امتزاج ذلك بالجزالة والفخامة حتى كان كلامه كانه
الدرع التي وصفها ابو العلاء المعري بقوله

مثل وشي الوليد لانت وان كا نت من الصنع مثل وشي حبيب
 بل ما اخرى انشاء انت يسمى بسلاسل الذهب كما يسمى شعر
 البحرى وهو الوليد المذكور في البيت لانه كانت بين الرجلين مشابة
 عظيمة من حيث اختراع الالفاظ والتركيب ومن حيث عدم تقليد احد
 من السابقين مع ان التقليد ممدوح واتباع الطريقة مما يستحسن حتى ان
 الثعالبي لما ذكر آل حمدان في اليتيمة كان في جملة ثنائهم عليهم قوله انهم مشوا
 على الطريقة البحرية

اما نظره في المتقدمين فما يحضرنا منه شيء يذكر ولكنه لا شك قد
 شافه كثيرين من اخوانه العلماء الموجودين الان فلعلمهم يشبهونه في تاريخهم
 اياه لانه ناهيك بشهادته عليهم من شهادة الا انه كان يشي على ابن الفارض
 ويعجب بذاك الذوق السليم الذي سرد عدة قصائد لا يوجد ارق من
 ديباجها ولا انعم من وشيها ولا ابعد منها عن الخطأ النحوي واللغوي لانه
 كان يرى السلامة من الخطأ حسناً مقصداً على كل حسن وانه من اجل
 هذا بالخصوص كان يعجب بالمتنبى . وكان معجباً ايضاً بكلام الامام علي
 والحجاج بالخصوص لصحة تركيبه وجماله . وكان يشي على الهمذاني ويقول
 عنه انه لولا البذاءة في بعض قوله واسفافه الى حد السوقه احياناً لما كان
 اكتب منه وكان يظن ان ماجرى بينه وبين الخوارزمي من المهارة كان مصنوعاً
 او مدخولاً عليهما او مزيداً عليه لانه كان يرى في الخوارزمي كاتباً لا يقل
 عن الهمذاني كما ان الهمذاني يرى نفس ذلك كما يبدو في بعض رسائله التي
 يذكر بها الخوارزمي . ثم قال انه ما رأى عظيمين قد اختصما لاول مقابلة
 الا المتنبى والحامى والهمذاني والخوارزمي وجان جاك روسو وفولتير ولعله

لا يوجد سواهم اما ابو تمام فلم يكن يعجبه الا في شيء قليل من شعره وكان يعجب من الذين وضعوه في صف المتنبي والوليد وقد كان ابن الرومي كذلك في نظره

اما الادباء المعاصرون فله في حقهم شيء من الشهادة فلقد سئل مرة عن احمد محرم الشاعر فاثني عليه وذكر صحة جريه في خطة المتقدمين وحسن تقليده واتباعه وعد ذلك من البراعة وسئل عن احمد شوقي فاثني عليه وذكر امتياز به برشاقة النظم وحلاوته . ورأى مرة قصيدة لحافظ ابراهيم نظمها حين حادثة الشيخ علي يوسف فامتدحه واثني على ادب نفسه وحسن صنعه وجودة تركيبه . ونظم خليل المطران قصيدته البائية في رثاء نجيب الحداد فقال هذا هو شعر خليل الحقيقي ولو كان كل شعره على هذه الصور والمعاني وحسن الصنعة في اظهار العواطف لما مشى معه احد من المعاصرين . وقد قال مثل هذا القول عن قصيدة الشريف الرضي في ابي اسحق الصابي فان اخاه خليلاً قال له مرة انها حسنة جداً فقال ليس كلها ولكن لو كان كل جيد الشريف كجيدها لكان كالمتنبي . واثني مرة على مصطفى صادق الرافعي وقال انه على كونه صغير السن يعد شيئاً مذكوراً وذكر مثل هذا عنه في الضياء . وسئل عن السيد البكري فقال انهم حين حكموه مرة ليري اي القصائد اجود في مديح الخديوي رأى له قصيدة في غاية الحسن وامتدح متانة قوافيها بالخصوص وسئل عن صديقه الوفي قسطنطين بك الحمصي فقال انه يشغل الان بتصنيف كتاب في علم الانتقاد سيكون سبباً لتخليده لانه ما كتب للان على طريقته . وسأله اديب مرة عن اشعر الشعراء الان في مصر فقال اذا كان الشعراء اختصاصيين فامين الحداد اشعرهم اذا شرب ثم

ضحك لان اميناً ابن اخته . وكان يثنى على اسكندر شاهين المحرر الان في
جريدة الوطن ويقول عنه انه يورد عن عقل ويصدر عن تمييز وانه لو كان
انشأؤه من رتبة معانيه ومقاصده لكان افضل كاتب . وسئل عن الشيخ
محمد عبده فقال انه ما تعرض قط لبحث ديني مع انسان ولكن اتفق من
دهر طويل ان جرى بينه وبين الشيخ محمد شيء من هذا فرأى منه انه
اعقل مما كان يظن ولذلك لامه مرة في الضياء لانه اوشك ان يخلف
الظن الاول

وسئل عن علماء النحو المتقدمين فقال انهم كتبوا كثيراً وافهموا قليلا
وسئل عن الياذه لصاحبها سليمان البستاني فقال ان مقدمتها خير منها
بكثير ولكن جملتها وما اقتضته من صحة النظر تدل على ان الرجل عظيم وقد
ذكر شيئاً من هذا في الضياء . وسئل عن شعر ابي العلاء المعرى فقال انه
في لزومياته اشعر منه في سواها حكمة وصنعة وكان يرى ان بعض رسائله
المطبوعة من عهد قريب منسوبة اليه لان فيها ما لا ينطبق على مقدار ذوقه
وعقله

هذا طرف يسير من حيشة اليازجي يمليه عفو الذاكرة والبديهة ولكن
اخوانه الادباء الذين لزموه كثيراً يحفظون له اقوالاً شتى وحكماً مأثورة
وشذرات كثيرة ولا سيما ساعات مزاحه فانه يذكر اثناءها نكتاً تكتب
وكان مزاحه في غاية الحلاوة حتى ان عبده الجمولي كان يغريه باللهو اغراء
فيغني له ليسمع حديثه

وجملة القول ان ابراهيم اليازجي كان انساناً عظيماً كاملاً من اكثر
الجوانب ولو فسح الله في اجله خمس سنين فقط لكانت على قلتها تعدل

كل عمره لان ما تركه من المصنفات غير كامل وهيئات من يستطيع اكمله
الان على وفق النسق الاول لان الذين نعرفهم من اولي هذه الصنعة
لا يزالون اقل من هذه الدرجة على ما نظن . ولقد ترك اليازجي فراغاً
كبيراً كما يقول الافرنج وربما يكون طويل المدة لانه اذا ملئ جزء بقيت
اجزاء اذ انه كان على حد ما قال اخوه خليل

الرجل الذي يكون للرجال مثلاً
من كيفما قلبته اراك منه رجلاً

رحم الله تلك الروح الطاهرة

ولقد هال مصرعه جميع الادباء ورنث اسلاك البرق تنعاه الى كل
الارجاء وكان اشد من تأثر لمنعاه واسبق لراثته الشعراء فسبق جميعهم الشاعر
المجيد محمد افندي امام العبد فرثاه بخير القول واجوده وتبعه مصطفى الرافي
وخليل المطران واحمد محرم وعدد كبير اجاد اكثرهم اجادة تندر منهم كأنما كان
يسقط عليهم ابداعه وحياً او كأن نظمهم كبر بمقدار ما كبرت المصيبة فيه
فجاءت اقوال بعضهم في غاية الحسن والجودة حتى انه لو رآها مرثياً بها
غيره لمات قريح العين بحالة الشعراء ومبلغ النهضة الفجائية التي نهضوها .
على ان تلك القصائد الغراء ستشعر كلها في كتاب خاص فلا حاجة الى
الاشارة اليها جميعها كما انه لا سبيل الى ذلك لتفرقها وعدم امكان الظفر بها
ولكننا ظفرنا بقصيدتين نظمهما حضرة الشاعرين جبران افندي نحاس
وامين افندي الحداد فرأينا اثباتهما لكي لا تخلو المجلة من بعض الشيء الذي
قيل فيه ولولا ضيق المقام لآتيناه من ذلك بالشيء الكثير ليس من قبيل
المشاركة في التفجع على هذا الراحل العزيز فقط بل من قبيل ترئين المجلة

بذاك الشعر النفيس اما قصيدة جبران افندي النحاس فهي منقولة عن
جريدة المصور الغراء مع القصيدة التي تليها

مولاي ابكيت المحب الذاكرا	وقضيت في المهجات حكماً جائراً
ولتلك يا مولاي اول مرة	لم ترع فيها للمحب اواصرا
اعرضت عنا جانباً وسدلت من	نسج القنوط على اللقاء ستاراً
فنسخت ظلاً للاماني وارفاً	صرداً واذويت البقيع الناضراً
لو كنت ترعي القلب سمعك بعدها	لوعيت منه اذن وجيلاً جاهراً
مولاي قد يبس الثرى ما بيننا	ونجميع هذا الجفن يسفح هامراً
امسكت عنا غير ما خبرته	وهجرتنا الا خيلاً زائراً
ويحي لدن عزيتك صابراً	متجلداً وكذبت لم الك صابراً
لك في فؤادي لوعة لا تنقضي	وهوى تملك مهجتي والخطا
لولا سوى الا كفان دونك حائل	لشقت استار المنون مبادراً
ولو ان خلف القبر سرّاً مضمر	لجلوته وطلعت نجماً زاهراً
اني صرفت الفكر واجه ذكركم	قلبي ككالمفتح الهجير مسافراً
فذكرت للاستاذ علماً باهراً	ان سامرت عيني الرقيق الدائراً
وذكرت انفاً له عطرية	ان انبتت ايدي الربيع ازاهراً
ولا ذكرن ضياء شمسك ماجلت	شمس الضيا وجه الصباح السافراً
ملأت معاليك الوجود كأنها	كانت لحسن الكائنات عناصراً
أسمعت للكتاب صيحة باخل	صلد الصفا سلبوه كنزاً زاخراً
انشأت فيهم صبوة قد جددت	للنثر معنى كان قبلك داثراً
ان تحمل الاقلام ايديها ولا	اجرت علي صدر الطروس محاراً

لا تذكر انتقادك فانقت
 يرسل الرحمن مثلك صالحاً
 علم الاسماء قبلك آدمًا
 فأتى بال اليازجي مستدركا
 حركت اوتار القريض فلم تدع
 وسلكت في اهل البلاغة منهجاً
 وقطعت في الابداع شوطاً يتني
 واثيت من آي البيان بمعجز
 ثم انصرفت مبدلاً منه اسي

من عالم الانوار روحك ناظرا
 ليهذب الكتاب الا نادرا
 لكن هذا العلم اصبح قاصرا
 ما فاته ولذلك جئتم آخرا
 رناتها من بعد شعرك شاعرا
 قد رد عهد ابن العميد الغابرا
 من دونه نظر المقلد حاسرا
 لم يبق زنديقا بفضلك كافرا
 مستوطنا فينا وصيتا طائرا

احييت عصرك تأليفاً وتأدينا
 هذا جزاء سنمار ولا عجب
 بل ليس من عجب فيما دهاك فقد
 حطى رحالك يا افلام وانتظري
 اصممت كل سميع نعيه ولقد
 بل كنت اعلى من الارماح في يده
 كأنما القلم الأعلى بأنمله
 يحيي له الرأس إجلالاً وربما
 تلك الرسائل صارت بعده رسلاً
 وطالما قد سرت كالبرق شاكية

والان افناك إجهاداً وتغذيا
 للحداث يعاودن الأعاجيبا
 كان الذكاء على الانسان محسوبا
 للكتب وقتاً من الاقدار مكتوبا
 اسمعت امثالك الصم الانابيا
 كعباً واكثر تسديداً وتصويبا
 يخط في اللوح ترغيباً وترهيبا
 زهى اختيالاً فجر الذيل مسحوبا
 تنعاه للدهر مرثياً ومندوبا
 قصر المسافة تشرقاً وتغربا

تيت تستصغر الدنيا لها وطناً
قد كان يرسلها غراًء سافرة
من بعد يوسعها نقداً ويملاها
مثل الكواعب لا تبدي تراثها
ألم تكن هي احلاها اذا كُست
تلك القصائد لم يقصد بها نشباً
بل كان يخلعها نخرأ وتكرمة
جانبين اغراض اهل الشعروانفردت
تلقى بها الفلك الدوّار منتظماً
حقى غدت لغة العرب الكرام به
كانت تشارف ان تعي فصاحتها
فقيض الله ابراهيم يدركها

وتبغني في مناط الشهب تطيبها
فتخجل البدر بدر الخدر محبوبا
بحثاً ويجهدُها كشفاً وتنقيا
إلا وقد ملأها العطر والطيبا
منه وأجلها درعاً وتليدبا
يذليها لا ولا أجراً وتثوبيا
فتتركُ الملك الوهاب موهوبا
بها الصناعة موضوعاً واسلوبا
وتلقى حكمةً تبقى وتشيبا
كريمةً مثلهم اصلاً وتهذيبا
لفظاً ومعنىً وتفصيلاً وتبويباً
فلم يدع حاجةً في نفس يعقوبا

*
* *

غدت عليك ظنوني جدّ موحشة
واصبحت بعدك الآمال كاذبة
اين الرسائل تأتي منك حاوية
واين نصحك لا تلقيه من ادب
خلق صفاً مثل منهل الندى سحراً

وكنت تؤنسها بشراً وترحيبا
خبيات وما عودت تخيبا
مع البلاغة تأدياً وتأنيبا
إلا اضطراراً فيكفيني التجاريبا
وقد ترفع موهوباً ومكسوباً

واين خطك يملأ العين منظرة
 كأنه الخيل تبدي من عوارضها
 واين وجهك تجلو الهم طلعته
 هيات قد ردت الآمال راجيها
 وابدع الدهر فيما قد عراك فما
 وقد تجاوز فيك الرزء قدرته
 وقد تجاوزت حد السحب مرتبة
 حسناً وسبكاً وتنسيقاً وترتياً
 او العذارى يزججن الحواجيبا
 كما جلا البدر جنح الليل غريباً
 صفراً وبُذِلَ ذاك البشر تقطيباً
 فارقت حتى تبدى الحزن مصحوباً
 جداً فقصرت مفجوعاً ومنكوباً
 فابعث لها مزنة تمطر كشوئوباً